الأكاديمية العربية الدولية

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة على آخر الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبعد :

فلم تكن كتابة اعداد هذه السلسلة تبعا لمجرى الأحداث التاريخية وتتابعها أو قيام الحضارات وتعاقبها . فلو كان ذلك لوجبت الكتابة عن مصر قبل السودان حسب دخول الإسلام إلى هذه المناطق وانتشاره فيها ، وإنما كانت الكتابة حسب الأحداث المستجدة التي تقع في بعض الأمصار ، فنضطر للتعريف بهذا المصر الذي وقع فيه الحادث أو قامت فيه المشكلة أولاً ثم نتكلم عن السياسة التي تكمن وراء هذه المشكلة أو اليد التي تلعب دورها في إعطاء الصورة الظاهرة لها والتي تحركها وراء هدف معين لا يظهر إلا بربط الحوادث بعضها ببعض وتعليلها واعطاء التحليل الصحيح لها .

جاء موضوع جنوبي السودان وايجاد اتحاد بين الشمال

والجنوب أو اعطاء الجنوب نوعاً من الحكم الذاتي بعد أن كانا يؤلفان دولة مركزية واحدة ، لذا رأينا ضرورة إعطاء فكرة عن هذه المنطقة وتسليط الأضواء عليها ليكون المسلمون على بينة من أمرهم وما يحدث في مناطقهم ، وما هي الأيدي الخفية التي تعمل من وراء الأحداث والتي تختلف بين منطقة وأخرى في الظاهر ولكنها في الحقيقة هي ذاتها ، وإنما تظهر بأشكال متعددة وصور مختلفة .

نشأت فكرة القومية في البلاد العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي نصارى بلاد الشام ، ودعت إليها المدارس والارساليات التبشيرية التي اتخذت من لبنان مرتكزاً لها آنذاك حيث يكثر عددهم هناك وتكثر البعثات التبشيرية إلى مناطقهم ، بل لم يكن لهذه الفئات غير هذه الدعوة وهم يختلفون في عقيدتهم عن سكان البلاد ، والعقيدة أساس كل دعوة سوى هذه ، ثم تعددت القوميات للأسباب والعوامل نفسها فكانت السورية والفرعونية والبربرية ، وكلها تستقي من نبع واحد هو الغرب ، وتلقى مصدراً واحداً للدعم هو المستعمر ، وتحظى بتأييد المبشرين وإرسالياتهم . وكان من هؤلاء قادة التوجيه وبعدئذ زعماء الأحزاب ورؤساء الجماعات المرتبطة بهم .

وأخيراً طغت فكرة القومية العربية على غيرها في النصف

الثاني من القرن العشرين واندحرت امامها القوميات المحلية الاخرى لأسباب كثيرة لا تختلف في جوهرها عن اسباب نشوئها وقيامها. وتراءى لبعض الناس انها اصبحت حقيقة واقعة يمكن الاعتماد عليها كعاطفة وان كانت بلا نظام او دستور ينظم الشؤون ويرعى الحقوق. كما رأوا أنها عاطفة قوية يمكن أن تؤدي دعوتها إلى الوحدة دون عقيدة توحد القلوب والأفكار. ولكن ما إن سار أصحابها مسافة وقطع دعاتها شوطاً حتى بدت السحب في سمائها تنذر بعاقبة وخيمة تجزىء البلاد وتفرق الشعب وبدت هذه العاطفة أنها تغرق بدلا من أن توحد وتجزىء بدلا من أن تجمع الشمل، فهي سطحية من غير عمق تهزها أقل النسمات وتطيح بها أخف الهزات. وما إن سار دعاة هذه العاطفة شوطاً حتى انتفض شمال العراق واهتز جنوب السودان وتحرك أنصار القوميات المهزومة، وأتباع الأقليميات المحلية، ونشبت المعارك، ودارت رحى الحرب، فكانت هذه الحركات صفعة قوية لدعاة العاطفة بالأمس، وبدا أن الوحدة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس العقيدة التي تنبع من القلب الذي هو مركز التفاهم ومنطلق الصلاح « القلوب جند مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد بأكمله وإذا فسدت فسد الجسد بأكمله ألا وهي القلب ».

وفي هذا الوقت الذي تعصف فيه الفكرة العاطفية بأجزاء واسعة من وطننا الكبير فيعطى جنوب السودان نوعاً من الاستقلال الذاتي وشمالي العراق يسبقه في هذا الحكم ، يجب أن نتعرف على أوضاع هذه الأمصار وعلى العوامل التي أدت إلى ذلك الحكم والمطالبة به ، ونرجو من الله أن يوفقنا في هذه المهمة ، وأن يجعل أعمالنا خالصة له ، والحمد لله رب العالمين .

١٣ حزيران ١٩٧٢م

مَعَ التـــاريخ

السودان كلمة أطلقها العرب على كل البلاد الواقعة جنوبي مصر ، وجميع المناطق التي يسكنها السود ، حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها ، ويدخل ضمن هذه الأرجاء السودان الدولة العربية المعروفة الآن والتي تشمل جزءاً كبيراً من وادي النيل ، أما جغرافياً فتشمل السودان كل المناطق التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى ، والتي تمتد بين البحر الأحمر شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً .

سكن الانسان منطقة السودان العربية منذ أقدم عصور التاريخ ، فقد كان يعيش في المنطقة التي تقع فيها مدينة الخرطوم حالياً جنوبي مقرن النيلين أناس يصطادون السمك بحراب مدببة الأطراف ، ويجمعون الفاكهة البرية التي لم تزرع أشجارها يد البشر ، ويعود هؤلاء السكان في أصولهم الأولى إلى العناصر الحامية الشرقية التي عاش أقوام منها في شمالي وادي النيل ، وآخرون في شرقي السودان والذين ندعوهم فيما بعد بإسم البجاة ، وآخرون في الحبشة والصومال ، وقد وصلت هذه العناصر الحامية إلى المنطقة من الجنوب قادمة من الجزيرة

العربية عن طريق باب المندب ، كما أن هناك بعض القبائل النيلية والزنجية التي قطن معظمها مديريات الجنوب .

كانت هذه الأقوام أقدم سكان تلك الأرض ، وكان أولئك الذين يعيشون في شمالي وادي النيل قد أوجدوا قاعدة حضارة لهم وضحت في مجتمعهم ، وكانت خطوط الاقتراب مع النيل قد نقلت حضارة الشمال إلى الجنوب ، وأوجدت بعض المجتمعات المتحضرة على النهر ، فكان ملوك الأسرة الثانية عشرة التي حكمت مصر زمن الفراعنة يتاجرون مع الجنوب ، وكان جبل بركل عند الشلال الرابع مركزاً من مراكز الدين لما نزل به كهنة من طيبة عاصمة مصر الجنوبية ، وكان المصريون يسمون المنطقة (تانهسو) وتعني كما يعني الاسم العربي أرض السود ، ثم كان الاسم المصري الأخير (كوش) وقد أعطي هذا الاسم فيما بعد للأحباش .

وينحدر هؤلاء الناس إلى الجنوب مع النيل فيمرون بمجتمعات مبعثرة تزرع الأرض وترعى الماشية في جوار النهر بأسلوب بدائي ، فتتحضر ، وتنشىء لها دولاً ، منها دولة مروى ، وقد أرسل الفراعنة سلسلة من الحملات إلى الجنوب ، فهزم الزنوج عام ١٨٩٧ ق .م ، ثم احتل المصريون بلاد النوبة ، فاتحد النوبيون مع قبائل جنوبي مصر والقبائل الجنوبية وهزموا المصريين وكان كاشتا أول ملك نوبي لمصر ، وعندما احتل

الآشوريون مصر تراجع النوبيون إلى بلادهم وانزووا فيها وفي عاصمتها مروى ، وبقيت الصلات بين مصر والنوبيين جيدة وعندما احتل الرومان مصر قرروا ألا يحتلوا بلاد النوبة البعيدة عنهم .

وكما وصلت ديانة الفراعنة وحضارتهم من الشمال وصلت كذلك النصرانية حوالي عام ٥٤٥ م ، فاعتنقها أهل النوبة ، وبنوا الكنائس العظيمة في بلادهم ، وأصبحت الدول السودانية تعتنق النصرانية وتدين بها .

فتح المسلمون مصر عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ووصل الفتح جنوباً حتى مدينة أسوان ، وكان في السودان يومذاك دولتان نصرانيتان في منطقة النوبة كما يسميها المصريون القدماء ، ويعنون بها بلاد الذهب ، احداهما تسمى « مقرة » أو النوبة السفلى ، وتمتد أرضها من الشلال الأول إلى الشلال الرابع ، وعاصمتها مدينة « دنقلة العجوز » كما كانت تسمى ، وكانت المنطقة الواقعة شمالي « حلفا » حتى مدينة أسوان تسمى « مريس » وعليها حاكم من قبل ملك دنقلة يلقب بصاحب الجبل ، وعليه مراقبة الحدود ، ومنع هجرة العرب إلى ما وراء ذلك الحد ، وتعرف الدولة الثانية باسم « علوة » وعاصمتها مدينة « سوبا » وتقع على النيل الأزرق جنوب شرقي الخرطوم حالياً .

أرسل عمرو بن العاص والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد النوبة عام ٦٤١م، ولكنه لم يستطع دخول العاصمة « دنقلة » مع أنه عاد بغنائم كثيرة. وعندما أصبح هذا القائد عبد الله بن سعد والياً على مصر أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز حملة كبيرة استطاعت دخول دنقلة، وعقد معاهدة مع حاكمها ٦٥٢م تنص على أن تؤدي بلاد النوبة للمسلمين جزية سنوية وأن توفر الحماية للمسلمين في بلاد النوبة ولجامع مدينة دنقلة. وظلت علاقة المسلمين في مصر وجيرانهم في بلاد النوبة حسنة وفق المعاهدات الموقعة، وهذا ما كان يشجع القبائل العربية على الهجرة نحو الجنوب كلما ساءت علاقاتها مع حكام مصر أو خلفاء بغداد، حتى إن الأمراء كثيراً ما كانوا يلجؤون إلى تلك الهجرة كلما دعتهم الضرورة إلى ذلك.

وكان ملوك النوبة كلما وجدوا ضعفاً من المسلمين أو وهناً من أمراء مصر نقضوا العهد، ورفضوا دفع الجزية، وأغاروا على أسوان ومواقع المسلمين في مصر، وخاصة أيام داود ملك النوبة عام ١٢٧٢م مما اضطر المسلمين إلى حربهم واحتلال جزء من أرضهم أيام الظاهر بيبرس ١٢٧٦م، وعقدت معاهدة جديدة بين الطرفين، وأخيراً فتح السلطان الناصر ابن قلاوون دنقلة عام ١٣١٨م، وكان ملك النوبة عبدالله إبن أخ الملك داود قد اعتنق الإسلام عام ١٣١٦م فسهل انتشاره هناك.

ودخلت بلاد النوبة في الاسلام نهائياً ، وأسلم ملكها بعد أن فر إثر هزيمته إلى مدينة « سوبا » عاصمة مملكة « علوة » حيث ألقي القبض عليه هناك حرصاً على حسن الصلة مع المسلمين ، وسيق إلى مصر ، فأعلن إسلامه ، وأعيد إلى ملكه المحلي .

أما مملكة علوة فقد بدأ يزيد عدد المسلمين فيها عن طريق هجرتهم من الشمال وتنقلهم نحو الجنوب ، ودخول عناصر من سكان البلاد في الاسلام حتى عم الاسلام المنطقة ، وأخيراً استطاع « الفونج » أحفاد الأمويين أن يؤسسوا فيها مملكة عام ١٥٠٥ م ، إذ كان قد هرب بعض الأمويين من ظلم العباسيين الذين خلفوهم في الحكم عام ٧٥٠ م وتفرقوا في البلاد ، فوصل بعضهم إلى شمالي إفريقية ، وجاز بعضهم البحر إلى الأندلس ، وأسسوا هناك خلافة باسمهم ، وصلت أفواج منهم إلى الحبشة والسودان وعرفت باسم الفونج في القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي عام ١٥٠٤ م أغار عمارة دنقس من الفونج وعبدالله جماع من قبيلة القواسمة العربية بما لديهما من قوة على مدينة سوبا عاصمة مملكة علوة التي كانت تعاني انشقاقاً داخلياً بين رجالها ، واستوليا عليها ، واتخذ عمارة من مدينة سنار على النيل الأزرق عاصمة لمملكته التي ضمت كل الأراضي الواقعة ما بين النيلين إلى حدود الحبشة ، كما شملت منطقة البجاة في شرق السودان ، أما عبدالله جماع فكان وكيلاً لعمارة في حكم

السودان الشمالي حتى حدود مصر. وقد أسس كلاهما أسرة بقيت تحكم المنطقة التابعة لها حتى أيام محمد علي حيث فتح السودان عام ١٨٢١ م، وكان آخر ملوك أسرة عمارة الملك بادي السادس الذي سلم سنار لجيوش محمد علي، وآخر ملوك أسرة عبد الله ناصر ود عجيب الذي حضر فتح السودان على يد اسماعيل بن محمد علي الذي عزله عن المشيخة في مايس عام ١٨٢١ م. وكان ملوك الفونج بمثابة أمراء للمؤمنين ويتبعهم عدد من الملوك، منهم ملوك أسرة عبد الله، ومنهم ملوك الجعليين في شندي الذين كان آخرهم أكمل نمر وهو الذي أحرق اسماعيل بن محمد علي في شندي عام ١٨٢١ م، فانتقم منه محمد علي إنتقاماً بشعاً، إذ أحرق مدينة شندي، وقتل بعض سكانها، وهجّر بعضهم الآخر، وهجر قسم منهم مدينة شندي وانضم إلى جيش أكمل نمر الذي لاذ بالفرار إلى الحبشة. وأمر ببناء الخرطوم لتكون عاصمة المنطقة بدلاً من مدينة شندي المحروقة. وقد كانت كردفان تدخل في فترات متقطعة ضمن الحدود الغربية لمملكة الفونج.

وعندما دخل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ م أي بعد قيام مملكة الفونج باثنتي عشرة سنة، ووصلت جيوشهم إلى ميناء سواكن سمع الفونج بذلك وظنوا أن الزحف العثماني سيطالهم، فاجتمع عمارة دنقس ملك الفونج مع وكيله عبد الله جماع،

وأرسلا رسالة إلى السلطان سليم الأول سلطان العثمانيين ، هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . السلام عليكم . . . وبعد لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي . فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام فإني أنا وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله ، وإن كان لغرض مادي فاعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية ، وقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم ، وتجمع منهم جزية سنوية » وقد أرسل مع الرسالة كتاباً جمع فيه أنساب قبائل العرب الذين كانوا في المملكة . ولما وصلت الرسالة والكتاب إلى السلطان سليم أعجب بهما ، وعدل عن فتح السودان ، إذ كان هم العثمانيين الأول آنذاك الوقوف في وجه البرتغاليين الذين جاءوا لمحاصرة المسلمين بعد أن أخرجوهم من الأندلس عام ١٤٩٢ م ، والتفوا حول إفريقية ، وسيطروا على أطراف الجزيرة العربية ، فاحتلوا عدن ١٥١٣ م ، ودخلوا الخليج العربي ١٥١٥ م ، وكانوا ينوون تهديم الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة حسب تصريحاتهم المتكررة ، ولذا غيَّر العثمانيون وجهة فتوحاتهم من أوربا إلى الشرق ، وكان همهم الثاني حرب الأحباش أنصار البرتغاليين وعملائهم الذين كانوا يقاتلون المسلمين في شرقي القارة ، ولم يكن همّ العثمانيين فتح المناطق التي يحكمها ملوك أقوياء يستطيعون الوقوف في وجه المد

الصليبي الزاحف آنذاك من الغرب في بلاد المغرب ، ومن الجنوب في إفريقية وجنوب أرض العرب والمحيط الهندي ، لذا فقد تركوا ملوك الفونج في السودان ليقفوا في وجه الأحباش جيرانهم ، كما تركوا مراكش لتقف في وجه الاسبان وقد كانت قادرة على ذلك وقتذاك ، أما الحكام الضعفاء الذين لن يستطيعوا الوقوف في وجه الصليبيين أو الذين لم يساعدوا العثمانيين في تنفيذ مهمتهم فقد قضوا عليهم كما هو شأنهم مع المماليك حكام مصر والشام والحجاز ، وكذا الحكام الذين يمكن أن يستفيد منهم البرتغاليون ويتخذوا منهم ومن بلادهم قاعدة لحرب العثمانيين كما هو حال الصفويين الذين كانوا يعادون العثمانيين لخلافات مذهبية ، فقد دخل العثمانيون معهم في حرب في سبيل القضاء عليهم لقطع الطريق على البرتغاليين ، ودخلوا عاصمتهم تبريز عام ١٥١٤ م بعد معركة تشالديران الشهيرة .

سلمت مملكة الفونج وما يتبعها من الخضوع للحكم العثماني ، واستمرت في حكم المنطقة حتى عام ١٨٢١ م كما مر بنا ، وبهذا فقد كان الاسلام يعم المنطقة الوسطى من السودان ، وقد انتشرت الثقافة في العهد الفونجي وكثر المعلمون ، كما دخلت الطرق الصوفية المنطقة .

كانت أول طريقة صوفية عرفها السودان هي الشاذلية التي

تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي[1] من شاذلة بتونس، وأدخلها إلى السودان الشريف محمد أبو دنانة عام ١٤٤٥ م، وذلك قبل قيام سلطنة الفونج، أيام مملكة علوة النصرانية. وكانت الطريقة الثانية هي القادرية، وأدخلها إلى السودان الشيخ تاج الدين البهاري، وذلك عام ١٥٤٥ م، وتنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] في العراق. وكانت الطريقة الثالثة هي الختمية، ودخلت إلى السودان في أواخر عهد الفونج على يد السيد محمد عثمان الميرغني[3]، والطريقة السمانية التي أسسها الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان، وأدخلها إلى السودان الشيخ أحمد الطيب بن البشير العباسي.

أما شرق السودان فقد ظل أهله على الوثنية، يعبدون الكواكب، ويعيشون على شكل قبائل أشهرها قبائل البجاة، وبقوا على وضعهم هذا حتى كثر أذاهم للمسلمين، فأرسل إليهم المأمون والي مصر عبد الله بن الجهم عام ٨٣١ م لقتالهم، فانتصر عليهم، وأخذ منهم الجزية، وأعلنوا تبعيتهم لسلطان المسلمين، ولكنهم لم يلبثوا أن نقضوا العهد، فأعاد عليهم المتوكل الكرة، فاضطروا إلى عقد معاهدة جديدة، وبقيت حالهم هذه حتى

---

(١) ولد عام ١١٩٦ م

(٢) المتوفى عام ١١٦٦ م.

(٣) ١٧٩٣ - ١٨٢٥ م.

اختلطوا بالمسلمين ، فانتشر بينهم ، ودانوا بالاسلام تدريجيا على مدى الأيام دون قتال بعد أن رأوا موافقته للفطرة البشرية وصلاحه للحياة عن قرب وعن علم .

أما المنطقة الغربية فقد ظلّت أيضاً على الوثنية حتى بدأت تصل إليها القبائل العربية الخارجة من الأندلس والفارّة من المشرق ، كما وصلتها قبائل أخرى كانت تقيم في منطقة أسوان ، واختلطت هذه القبائل بالسكان وتزوجت منهم ، وأقاموا فيها عدة إمارات ، ومن أهمها تلك الأمارة التي أسسها أحفاد العباسيين الذين فروا نحو إفريقية بعد سقوط دولتهم في بغداد عام ١٢٥٨ م على يد المغول . وتروي كتب التاريخ أنه قد وصل إلى تونس شقيقان من أحفاد العباسيين وذلك عام ١٤٢١ م يسمى أكبرهما علياً والآخر أحمد ، وقد استقر المقام بالثاني في جبل مرة من أعالي دارفور الذي كان يخضع لحكم ملك وثني اسمه « شاو دورشيت » الذي التقى بأحمد فأعجبه عقله وأدبه ، فأكرمه وطلب منه المساعدة في تسيير شؤون الحكم ، فنجح أحمد في مهمته مما زاد حب الملك له فزوجه ابنته الوحيدة فولدت له ولداً أسماه سليمان وعرف باسم « سولونغ » أي العربي ، وورث الملك عن جده عام ١٤٤٥ م ، فنشر الاسلام في المنطقة ، وخضع له ملوكها ، وأسس أسرة استمرت في حكم دارفور كان آخرها السلطان ابراهيم الذي قتله الزبير باشا عام

١٨٧٥ م ، وضم مملكته إليه ، ثم أعلن تبعيتها فيما بعد للدولة العثمانية ، وبقيت دارفور كذلك إلى أن سلمها حاكمها سلاطين باشا إلى جيوش المهديين عام ١٨٨٤ م ، وبعد هزيمة المهديين عام ١٨٩٨ م ، إنتقل إلى دارفور الأمير علي دينار من أسرة سولونغ السابقة الذكر ، وأعلن نفسه سلطاناً على دارفور ، وظل بها مستقلاً استقلالاً تاماً لقاء ضريبة معلومة كان يدفعها للحكومة في الخرطوم حتى الحرب العالمية الأولى حيث اتهمه الانكليز بالتآمر ضدهم مع جيوش المحور ، فجهزت له الحكومة السودانية جيشاً دخل دارفور ، وقتل علي دينار عام ١٩١٦ م وهو آخر ملوك الفور .

عرف الفور بتمسكهم بدينهم ، وصلابتهم في الجهاد ، وكانت بلادهم قريبة من اقليم واداي الواقع في تشاد اليوم والذي كان مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية ، وشهرت الفاشر عاصمة الفور من بين مراكز العلم والتوجيه .

وخضعت المنطقة الشمالية الغربية من السودان لمملكة كانم الاسلامية التي كانت في أوائل القرن الثاني عشر . كما قامت دولة اسلامية في جبال النوبا أسسها رجل من الجعليين عام ١٥٣٠ م ، وعرفت باسم مملكة تقلى ، وهاجرت إليها القبائل العربية وانتشر في ربوعها الاسلام .

وهكذا أصبح السودان الشمالي يدين كله بالاسلام بل

ومصدراً لنشره ، وتنتقل القبائل العربية في أرجائه الواسعة ، أما السودان الجنوبي فقد بقي على وثنيته حتى العصر الحالي ما عدا أسر قليلة انتشر فيها الاسلام ، وكان تأخر انتشاره في تلك الأرجاء يعود لأسباب عديدة :

١ ـ مناخية : حيث تهطل الأمطار في جنوبي السودان في فصل الصيف فتتوافق الرطوبة مع الحرارة العالية فتكون الحياة صعبة وخاصة على تلك القبائل العربية التي اعتادت أن تعيش في جو صحراوي قليل الرطوبة ، وهي التي حملت الإسلام في كثير من الأحيان ، فلم يلائمها جو المنطقة الجنوبية لتعيش فيها ولتجد مستقراً لها هناك .

٢ ـ سياسية : فقد كانت أوضاع المسلمين غير حسنة ، فهم منقسمون على أنفسهم ، وليست لهم دولة قوية تعمل على نشر الإسلام والعمل له .

٣ ـ طبيعية : حيث تغطي الغابة أجزاء واسعة من منطقة الجنوب تحول دون سهولة الانتقال .

٤ ـ بشرية : فالسكان يعيشون على شكل قبائل ، وتحتجب كل قبيلة في غابتها التي تنتقل في ربوعها . مما يجعلها منعزلة لا تختلط بغيرها ، ولا تحتك بمن جاورها ، مما يجعل المؤثرات الخارجية في القبائل شبه معدومة .

وهكذا بقي السودان قسمين : شمالي عربي مسلم ، وجنوبي زنجي وثني .

الحكم المصري

كانت مصر ولاية عثمانية منذ دخلها السلطان سليم عام ١٥١٧ وقضى على حكم المماليك فيها ، ولكن في منتصف القرن الثامن عشر عاد المماليك يحكمون مصر باسم العثمانيين ويتحكمون في شؤونها ، ويتصرفون في امورها كأنهم مستقلون . وفي عام ١٧٩٨ م جاءت حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر وقطع طريق الهند عن انكلترا ، فأرسلت الدولة العثمانية جيوشاً لاخراج الفرنسيين من مصر ، وكان مع الجيش العثماني الذي جاء عن طريق البحر يدعى محمد علي آغا القولي ، وكان معاوناً لقائد الفرقة الالبانية في هذا الجيش ، وعندما خرج الفرنسيون من مصر ، وحدث صراع على السلطة استطاع محمد علي ان يلعب دوراً يمكنه من استلام السلطة عام ١٨٠٥ بعد تقربه من الشعب .

تم لمحمد علي الامر ، وقوي نفوذه وخاصة بعد فشل الحملة الانكليزية على مصر عام ١٨٠٧ بقيادة فريزر ، وعندها بدأ يوطد الامر لنفسه فحارب المماليك فلجؤوا الى الصعيد ووصل

بعضهم إلى شمالي السودان ، ثم دبر لهم مذبحة القلعة عام ١٨١١ كما تخلص من العلماء الذين اوصلوه الى السلطة وخاصة عمر مكرم الذي نفاه الى مدينة دمياط على ساحل البحر الابيض المتوسط .

تطوع محمد علي للقضاء على الحركة الوهابية التي قامت في الجزيرة العربية فأرسل برأي السلطان العثماني حملة بقيادة ابنه طوسون دخلت المدينة المنورة ، وبقي القتال سجالا بين الطرفين حتى توفي قائد الوهابيين سعود الثاني عام ١٨١٤ م ، ثم ان ابنه الذي خلفه وهو عبد الله لم يستطع مقاومة الحملة المصرية ، وحوصر في عاصمته الدرعية وسلم نفسه سنة ١٨١٨م الى قائد الجيش المصري ابراهيم بن محمد علي الذي تسلم القيادة بعد موت اخيه طوسون ، فأرسله الى والده في مصر ، ومن هناك ارسل الى السلطان في استانبول حيث امر بضرب عنقه .

طمع محمد علي بعد هذا الانتصار الذي أحرزه على الحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، وبعد النفوذ الذي أصبح له لدى السلطان فرغب في التوسع ، وأراد فتح السودان لعدة اسباب :

١ ـ استثمار مناجم الذهب الذي سمع بكثرة وجوده في السودان .

٢ ـ تجنيد السودان في جيشه واعتماده عليهم بدلا من الالبان الذين رفضوا الاصلاحات العسكرية خوفاً على مراكزهم .

٣ ـ الطمع في تجارة الرقيق والعاج وما تدره حاصلات السودان من أرباح.

٤ ـ وضع يده على منابع النيل مصدر ثروة مصر.

٥ ـ ملاحقة المماليك الذين وصل بعضهم الى السودان، فخاف ان يشكلوا هناك قوة تهدد مركزه في مصر.

أرسل محمد علي عام ١٨٢٠م جيشا الى السودان بقيادة ابنه اسماعيل فاستولى على مدن السودان: بربر، شندي، سنار، وانهى حكم الفونج في سنار، وقضى على حكم بادي السادس آخر ملوكهم، ثم على كل الملوك الذين كانوا يتبعونهم. الا ان اسماعيل اصيب بمرض فعاد الى مصر، وفي طريق عودته، أحرقه ملك الجعليين نمر صاحب شندي، فوجه محمد علي الى مدينة شندي فرقة انتقمت لاسماعيل بحرق المدينة وقتل قسم من سكانها وأنشأت مدينة الخرطوم لتكون عاصمة بعد أن كانت (سنار)، ثم انتقلت الى (واد مدني). ولكن جيوش محمد علي لم تستطع أن تفتح دارفور التي بقيت في ظل ملوكها المحليين حتى فتحها الزبير باشا عام ١٨٧٥ م وأعلن ضمها الى الحكم المصري.

بقيت السودان تتبع مصر طيلة أيام محمد علي وأسرته من بعده وإن كان اشراف مصر المركزي قد ضعف بعد عام ١٨٤٠ م، ووصل الى الحكم عام ١٨٦٣م اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي، وكان يرغب في الشهرة والدعاية لنفسه اكثر من غيره من

الحكام ، فاتخذ سبيلهما ، وسلك طريقهما ، وكانت تصبو نفسه الى السياسة التوسعية فسار في طريقها ، وكانت الدولة العثمانية آنـذاك في درجـة من الضعـف تحول دون امكـان فرض هيبتهـا عـلى المنـاطـق البعيـدة التـابعـة لهـا ، فتنـازلـت لـه عن سواحل البحر الأحمر الغربيـة وسواحل خليج عـدن ، وتشمـل هـذه المنـاطـق اليوم ارتـيريـا والصومـال ومنطقة هرر الواقعة في ارض الحبشة ، ورأى هو ان افضل المناطق التي تحقق سياسته ـ اضافة الى ما اخذ ـ هي البلاد التي تحد دولته من الجنوب حيث الامارات ضعيفة والفراغ السياسي موجود ، وتخلو من الحكم القوي فتسهل السيطرة عليها ، ومنها تتدفق مياه نهر النيل صخابة جرافة ، فيستولي على منابعه ، ويضمن تلك الاصول من ان تقع في يد غيره ، ويدرس مشاريع الري ، ويوحد وادي النيل ، ويحقق ما تتوق اليه نفسه من دعاية امام شعبه وشهرة امام بني جنسه ، والتفت الى تلك المناطق بكامل فكره ، واخذ يعد العدة ، ويرسل الرسل ليقوموا بالدعاية له ، ويمهدوا الامر امام جيوشه .

وفي عام ١٨٦٩ م ، تم فتح قناة السويس ، وكانت اكثرية سهم القناة بيد فرنسا صاحبة الفكرة والتخطيط والمشرفة على لعمل والتنفيذ ، والتي اصبح نفوذها يتسع تدريجياً في مصر حتى لم يعد لها منافس ، ولم يعد يجرؤ احد على معارضتها او

الوقوف في وجه مشاريعها وتحقيق اغراضها . راى اسماعيل كرد فعل لذلك تقوية النفوذ الانكليزي كي يقف في وجه النفوذ الفرنسي ـ حسب زعمه ـ او يحقق بذلك اسطورة (توازن القوى) بين الفريقين المتنافسين على مصر او على الاقل على قناة السويس ـ حسب رأيه ـ ، فعهد الى ضابط انكليزي اسمه (صموئيل بيكر) لتحقيق سياسته التوسعية التي اصبح في حاجة ضرورية الى تنفيذها لعله يحقق بعض الربح او تدخل خزينته اموال جديدة بعد ان انفق الاموال الطائلة في حفلة افتتاح قناة السويس التي دعا اليها ملوك أوربا وأمراءها وبذل الاموال الطائلة لاعطائهم فكرة رائعة عن بلاده . وبعد ان صرف المبالغ الكبيرة للسلطان ليحصل على لقب خديوي ، وهو لقب لا يزيد في سلطته شيئا وان كان يعني نائب السلطان ، وليغير قانون ولاية العهد في مصر الذي كان ينص حسب اتفاقية ١٨٤٠م على ان يلي حكم مصر اكبر افراد اسرة محمد علي سناً ، فأقنع السلطان بان يغير النص فيصبح : يلي حكم مصر اكبر ابناء الوالي وبذلك حصر حكم مصر في ابنائه من بعده . كما انه انفق الكثير في بناء القصور الفخمة التي لا تزال قائمة الى الان ، وانشاء الحدائق العامة ودار التمثيل .

عين اسماعيل صموئيل بيكر برتبة فريق في الجيش المصري ، وأعطاه مهمة فتح الجنوب بما في ذلك أوغندة او ما

سماها بمديرية خط الاستواء ، وكلفه بالعمل على تنشيط التجارة لمشروعة والوقوف في وجه تجارة الرقيق التي كانت انكلترا عمل على منعها لا بدافع ـ الانسانية بل للدعاية لنفسها ومن جل المحافظة على سياستها الاقتصادية وخاصة الصناعة التي انت تخشى من منافسة البضائع الاميركية لها ، حيث كان رقيق ينقل الى امريكا ويعمل هناك فتكون المواد الاولية خيصة ، والصناعة قليلة التكاليف لرخص اليد العاملة زنجية او التي تعمل بالمجان في انتاج المواد الاولية والصناعة ماً ، وبهذا تستطيع البضائع الاميركية الرخيصة الثمن منافسة بضائع الانكليزية الغالية الثمن ثم القضاء عليها ، ومنع تجارة رقيق يعني قطع مصدر العمال الذين يعملون باجور رخيصة في يركا ، وارتفاع اسعار الحاجيات الاميركية وبقاء البضائع نكليزية امام الاميركية . وقد نسي اسماعيل انه لا خير في جل مثل بيكر حيث انه لا يدين بدين اسماعيل ، فلا يمكن ان مل للاسلام الذي ارسل الدعاة له ، وحيث أن بيكر لا يؤمن ه أبداً ، بل يحاربه ، ويعمل ضمن مخططات يحملها في بته لمحاربته ، كما انه من بلد آخر فلا يمكن ان ل لمصلحة مصر بل انه سيعمل لمصلحة انكلترا لـ التي ينتمي اليها والتي ارسلته او رشحته لمهمة عليه ان ذها . وبعد انتهاء مدة عقد بيكر الذي لم يؤد المهمة المصرية أنيطت به ـ كما هو متوقع ـ وان ادى المهمة الانكليزية

الملقاة على عاتقه ، اختار اسماعيل ضابطاً بريطانيا اخر هو الكولونيل (غوردن) الذي جاء الى مديرية خط الاستواء ليخدم المصالح البريطانية ايضاً على حساب المصلحة المصرية ، وكان اختياره للسبب نفسه الذي اختار به (صموئيل بيكر) من قبل ، حيث لم تفده التجربة ، ولم يتعلم من الدرس الذي اخده ، وهذا يدل ان تفكيره بعيد البعد كله عن العمل للاسلام ، وان ارساله الدعاة لم يكن الا في سبيل خدمة مصالحه الشخصية واغراضه الخاصة ، وتعاقد معه على تنفيذ خطة اسماعيل ، ولم يكن بأفضل من سلفه ، فقد منع السلطة المصرية من الوصول الى مياه بحيرة فيكتورية خوفاً من وصول المسلمين الى تلك الجهات واحتكاكها بأبناء البلاد والتأثير عليهم ، بل تركها ميداناً للتوسع الانكليزي ، وأرسل بعثة الى موتيسا ملك بوغنده تحول دون دخوله في الاسلام وتدعوه الى اعتناق النصرانية ، وبعد انتهاء مدة عقده كحاكم لمديرية خط الاستواء عينه اسماعيل حاكماً عاماً للسودان ـ مكافأة له ـ بما في ذلك مديرية خط الاستواء اضافة الى ارتيريا والصومال وهرر التي هي اليوم تحت ظل الاستعمار الحبشي ، فعمد غوردن الى بث الفوضى وخلق الاضطرابات ، والاساءة الى زعماء القبائل في المنطقة ، كي يشعر اهل البلاد بفساد الحكم المصري ، ويطلبوا الانضواء تحت ظل السيطرة الانكليزية والسودانيين من جهة وبين جنوبي السودان وشماليه من جهة أخرى ،فكان يشيع بان المسلمين هم

الذين يتاجرون بالرقيق. كل ذلك واسماعيل يرغب في التقرب من انكلترا لينال بالمقابل منها القروض، وهي تمده بالمال لتحصل على اسهم في شركة قناة السويس اضافة الى ما تملك، وقد تم لها ذلك عام ١٨٧٥م عندما عرض اسماعيل حصة مصر من اسهم الشركة للبيع فأسرعت بريطانيا الى شرائها بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه، فأصبح مجموع ما تملكه من اسهم الشركة (٢٠٧) الف سهم من اصل (٤٠٠) الف سهم، فأمنت بريطانيا بذلك مركزاً لا يضاهى في السيطرة على القناة.

★ ★ ★